الجائحة والدروس المُستفادة

بيتر ساندز من الصندوق العالمي يعتقد أنه ينبغي لخبراء الاقتصاد إعطاء مزيد من الاهتمام للصحة العالمية

جائحة كوفيد-١٩ أخذت الجميع، بما في ذلك خبراء الاقتصاد، على حين غرة. وبرغم ما تفرضه الجوائح من تكاليف اقتصادية كلية باهظة، فهي لم تلقَ الاهتمام الذي تستحقه إلا مؤخرا.

وهذا الانفصال يؤرق بيتر ساندز، المدير التنفيذي للصندوق العالمي لمكافحة الإيدز والسل والملاريا، وصاحب الخلفية المالية والصحية. وكان ساندز قد شغل من قبل منصب الرئيس التنفيذي في بنك ستاندرد تشارترد، ومدير أول غير تنفيذي في مجلس إدارة الصحة في المملكة المتحدة، وعضو مجلس تحالف مؤسسات الأعمال التجارية العالمي لمكافحة الإيدز والسل والملاريا.

وفي مقابلة مع روشير أغاروال — رئيس فرقة العمل المعنية بالصحة والاستجابة للجائحة على مستوى العالم التي أسسها صندوق النقد الدولي لتعزيز مساهماته في مكافحة جائحة كوفيد-١٩ — يستعرض بيتر ساندز خواطره حول الصحة العالمية والجوائح والأسباب التي تدعو خبراء الاقتصاد إلى الاهتمام بهذه الأمور.

مجلة التمويل والتنمية: في بداية الجائحة، كتبت مقالا بعنوان «عندما يفشل التمويل» تناولت فيه أسباب فشل خبراء الاقتصاد في توقع الانهيار الناجم عن مرض فيروس كورونا. فلماذا حدث ذلك؟

بيتر ساندز: بعد أن تركت عملي في بنك ستاندرد تشارترد، أمضيت بعض الوقت كزميل باحث في جامعة هارفارد وانصب اهتمامي على اقتصاديات الصحة العالمية وتمويلها، ولا سيما في فترات الجوائح. والأمر الذي لفت انتباهي بصفة خاصة هو ما بدا لي من أنه لا أحد تقريبا في عالم المال أو الاقتصاد، بما في ذلك صندوق النقد الدولي، يأخذ مخاطر تفشي هذه الجوائح على محمل الجد. وتحديدا، اخترت ١٥ بلدا عانت من تفشي أمراض معدية وطالعت التقارير القُطْرية التي نشرها الصندوق، وستاندرد آند بور، ووحدة الاستخبارات الاقتصادية بمجلة ذي إيكونوميست قبل تفشي هذه الجوائح بعامين ثم بعد تفشيها بعامين. وبينما أُشير إلى تفشي الجوائح في ٦٣٪ من تقارير الصندوق التي نُشرَت لاحقا، لم يُلقِ أي تقرير منها نُشر قبل تفشي الجائحة الضوء على مخاطرها. ولم يقتصر ذلك على تقارير صندوق النقد الدولي.

فما هو السبب وراء احتجاب هذه البقعة؟ يرجع أحد الأسباب إلى أن البشر، حتى خبراء الاقتصاد، لا يحسنون تقدير الأحداث التي تتسم بانخفاض احتمالية وقوعها وارتفاع درجة تأثيرها. فنحن إما نبالغ في الحديث عنها أو نتجاهلها. والناس غالبا ما يتناولون في أبحاثهم المخاطر التي يفهمونها، ولأن مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي لم تشعر بالارتياح إزاء تناول قضايا مرتبطة بعلم الأوبئة، فلم تتطرق إليها. وكانت هناك فجوة في التفاهم بين عالمي الصحة والاقتصاد، كلاهما متخصص وفني إلى أبعد حد، ومن يتخصص في أي منهما لا يستطيع التحدُّث بلغة الآخر.

مجلة التمويل والتنمية: ما هو المنظور المتميز الذي يمكن أن يسهم به الصندوق في تقييم تأثير تفشي مثل هذه الجوائح مقدما؟

بيتر ساندز: إن تفشي الجوائح الصغيرة نسبيا يحدث بانتظام، ولكن هناك طفرات تحدث من وقت إلى آخر، كما رأينا في حالة كوفيد-١٩. ويمكن تقييم مدى تعرض أحد البلدان لمخاطر تفشي الجوائح وقدرته على التعامل معها، تماما كما يُجري الصندوق تقييما لقدرة بلد ما على التعامل مع التحديات بالغة التأثير على الاقتصاد الكلي، مثل صدمات السيولة. ويستطيع الصندوق أن يعتمد على أطراف أخرى في الجوانب المتعلقة بعلم الأوبئة ولكنه ينظر إلى التأثير الذي يمكن أن يُحدثه تفشي جائحة في الاقتصاد. وهذه المسألة تقتضي التمتع بالمهارات والقدرات التي تشكل نقاط القوة الأساسية في الصندوق.

مجلة التمويل والتنمية: هل ألقت جائحة كوفيد-١٩ الضوء على الجوانب الصحية بالغة التأثير على الاقتصاد الكلي؟ وهل أنت متفائل بأن مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي سوف توليها اهتماما أكبر الآن؟

الصورة: مُهداة من الصندوق العالمي

«عندما كنت أعمل في قطاع البنوك، كنت أسمع بعضهم يقول «الوقت يعني المال». أما في عالم الصحة العالمية، فالوقت يعني حياة الإنسان».

بيتر ساندز: إذا لم تتوصل المؤسسات الكبيرة مثل الصندوق إلى أن الأمراض المعدية يمكن أن تكون لها آثار اقتصادية كلية ومالية بالغة مثلما فعلت جائحة كوفيد-١٩، فلا أعلم متى ستقتنع بذلك. إنها أكبر حتى من الأزمة المالية العالمية. فقد كشفت الجائحة كيف تنتقل الآثار بين الأمراض والاقتصادات، تماما كطرف رابح وطرف خاسر — بعضها على نحو مثير للدهشة. ولكنني لا أظن أنه في وسع أي أحد اليوم أن يقول «إذا كنت سأقوم بتقييم المخاطر الاقتصادية مستقبلا، يمكنني أن أغض الطرف عن التهديدات باحتمال تفشي جائحة ما».

مجلة التمويل والتنمية: من موقعك المتميز في الصندوق العالمي، ما أهم الأولويات في الأجل القريب لإنقاذ الأرواح ودعم تحقيق تعاف اقتصادي واسع النطاق؟

بيتر ساندز: لقد تأسس الصندوق العالمي لمكافحة أكبر الجوائح الأخيرة فيروس نقص المناعة البشرية/متلازمة نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، الذي أودى بحياة نحو ٤٠ مليون إنسان. وتكمن قوتنا بصفة أساسية في مكافحة أكبر الأمراض المعدية. وقد تحركنا بسرعة كبيرة في مواجهة أزمة كوفيد-١٩، ووفرنا الأموال اللازمة في مارس ٢٠٢٠. ومنذ ذلك الحين، قمنا بتوزيع حوالي ٤ مليارات دولار. وكان الصندوق العالمي في طليعة مقدمي الدعم للبلدان منخفضة الدخل والبلدان في الشريحة الأدنى من فئة الدخل المتوسط لكي تحصل على العناصر الصحية الأخرى بخلاف اللقاحات، مثل الاختبارات ومعدات الحماية الشخصية، والأكسجين.

وللتغلب على الجائحة، من الضروري أن نتخذ خطوات أكبر وأسرع. والمنطق في مكافحة الأمراض المعدية هو القضاء عليها بسرعة لأن هناك تأثيرا لا خطيا على التغلب عليها وإذا تركتها تستشري سواء بسواء. ويجب تجنب صدور استجابة غير متوازنة. فاللقاحات هي أكثر أسلحتنا الفعالة، ولكن اللقاحات وحدها لن تقضي على مرض فيروس كورونا. ويتعين مواجهته بشكل أشمل يتضمن مجموعة أوسع من العناصر.

مجلة التمويل والتنمية: هل أثرت الجائحة على قدرة العالم على معالجة الأمراض الكبيرة الأخرى؟

بيتر ساندز: إن جائحة كوفيد-١٩ هي أسوأ ما أصاب الكفاح ضد الإيدز والسل والملاريا على الإطلاق. وقد نشر الصندوق العالمي مؤخرا تقريره عن نتائج عام ٢٠٢٠، وللمرة الأولى في تاريخنا الذي يمتد عشرين عاما، تراجعت النتائج الرئيسية على مستوى الأمراض الثلاثة. ولكي نضع الأمور في نصابها، في معظم البلدان منخفضة الدخل والبلدان في الشريحة الأدنى من فئة الدخل المتوسط، نجد أمراض الإيدز والسل والملاريا تودي بحياة أعداد أكبر مما يفعل مرض فيروس كورونا. نحن في حاجة إلى استجابة تعالج التأثير المباشر لمرض فيروس كورونا وتبعاته على هذه الأمراض الأخرى.

مجلة التمويل والتنمية: هل يمكن لجائحة كوفيد-١٩ أن تحفز الدعم لمنهج شامل في التعامل مع الصحة العالمية، لا يقتصر على مجرد مكافحة كل مرض على حدة وإنما يغطي طائفة واسعة منها؟

بيتر ساندز: يتعين علينا حماية الناس من مستنقع العوامل المسببة للأمراض. فلا معنى لإنقاذ أحدهم من مرض كوفيد-١٩ ليلقى حتفه بمرض السل. وهناك درس آخر تعلمناه هو قيمة المنظور الشامل، أي التعاون بين المعنيين بنشر أدوات طبية جديدة وأولئك العاملين على تطويرها وإطلاقها.

والدرس الثالث هو معرفة قيمة الوقت. فعندما كنت أعمل في قطاع البنوك، كنت أسمع بعضهم يقول «الوقت يعني المال». أما في عالم الصحة العالمية، فالوقت يعني حياة الإنسان. ولكن عالم الصحة العالمية لا يعمل على هذا النحو دائما، فهو يتحرك على نحو أكثر تدرجا. وقد تحركنا في مواجهة مرض فيروس كورونا بوتيرة غير مسبوقة. وينبغي أن تنعكس هذه الحاجة الملحة على تصدينا للأمراض الأخرى.

مجلة التمويل والتنمية: وردت أنباء سارة مؤخرا عن الموافقة على لقاح لمرض الملاريا. هل أنت متفائل بشأن مجالات أخرى في السنوات والأشهر القادمة؟

بيتر ساندز: إن تجربة كوفيد-١٩ — التي فندت الفرضيات السابقة عن الوقت الذي يحتاجه تطوير طرق الاستجابة مثل الفحوص التشخيصية السريعة واللقاحات – تشكل تحديا للتوقعات بشأن الوقت الذي يحتاجه تطوير هذه الطرق في مواجهة أمراض أخرى كذلك. وكانت الموافقة على لقاح الملاريا الجديد RTS,S، قد استغرقت سنوات، بينما خصص الصندوق العالمي أموالا لعملية إنتاجه. وهناك أمثلة أخرى. لقد تحدثنا مع أناس متخصصين في عالم السل وهم متحمسون بشأن إمكانية التوصل إلى لقاح خلال أربع أو خمس سنوات. وكنت أتساءل، إذا كان بإمكاننا أن نأتي بلقاح خلال عام لا أكثر لعلاج فيروس لم نره قط من قبل، فلم نحن متحمسون إزاء الانتظار أربع أو خمس سنوات للتوصل إلى لقاح يعالج مرضا عرفناه لمئات السنين؟ لا بد لنا من التوصل إلى مفهوم مختلف للحاجة الملحة. FD

أجريت تعديلات تحريرية على نص هذه المقابلة لمراعاة الطول المناسب والوضوح.